الابداع الفني بين الأخلاق والحرية

هند على محمد بن غزي
كلية الإعلام والفنون، جامعة الزيتونة

مُلخص:

يتناول هذا البحث علاقة الفن بالأخلاق والحرية في مجال الإبداع الفني حيث انقسم فلاسفة الفكر والجمال بصدد هذه العلاقة إلى اتجاهين عبّر كل منهما عن وجهة نظره الخاصة من حيث **الاتجاه الأول:** أكد ضرورة التزام الفن بالأخلاق لما له من وظيفة تهذيبية وأخلاقية عند اصحاب النزعة الوظيفية والتي ضربت جذورها في أعماق الفكر الفلسفي عند اليونان، في حين أكد **الاتجاه الثاني** حرية الفن من الأخلاق بشكل مطلق إذ لا غاية للفن سوى الجمال في ذاته عند انصار النزعة الجمالية القائلين بالفن لأجل الفن.

المقدمة:

لقد مكّن تطور الجمال بمفهومه الحديث من طرح جديد يختلف عن الآراء التقليدية حول قضية الفن وعلاقته بالأخلاق والحرية، حيث أفضت النظريات الجمالية عند هيجل كروتشه وجورج سانتيانا حديثاً إلى نتيجة إيجابية مفادها احتفاظ الفن بقيمته الجمالية دون انكار علاقة الأخلاق بالفن بصورة ضمنية وبطريقة غير مباشرة محاولين في هذا البحث الوصول إلى رؤية فلسفية جمالية توضح هذه العلاقة من خلال آراء البعض من الفلاسفة.

مشكلة البحث:

يمكن صياغة إشكالية البحث في مجموعة تساؤلات لا محيد من الوقوف عندها، خاصة وإن موضوع البحث يتمحور حول علاقة غاية في الأهمية ألا وهي الأخلاق والحرية في الفن، **وأهم هذه التساؤلات:**

1. أيمكننا إلغاء مبدأ الأخلاق في الفن بشكل مطلق؟
2. أيمكننا الحكم على الفن بنفس المعايير التي يذهب إليها أصحاب النزعة الأخلاقية؟
3. أليس ثمة إمكانية للجمع بين الأخلاق والحرية الجمالية في الفن؟

الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث الإجابة من خلال الدراسة عن هذه التساؤلات المطروحة حول قضية الأخلاق والحرية في الفن في فلسفة الجمال عند اليونان إلى عصرنا الحديث.

أهمية البحث:

جاءت أهمية البحث في كونه يمثل قضية أصبحت في طليعة القضايا التي لا تشغل الفكر الفلسفي والجمالي بل تشغل جميع النقاد والأدباء والمفكرين في مجال الفن والأدب.

الفن بين الالتزام الأخلاقي والحرية:

لو رجعنا إلى الفكر اليوناني نجد من بين القائلين بضرورة التزام الفن بالأخلاق الفيلسوف اليوناني سقراط. حين هاجم حركة التجديد في الفن التي دعا إليها السوفسطائيون وينتقد تحررهم من كافة قواعد الالتزام والاهتمام فيما يثيره من لذة لمتذوقيه إلى جانب نقده لمفهوم الجمال المحسوس الذي كان سائداً في عصره.[1]

ويتضح هذا الهجوم على فنون عصره الهادفة للمتعة، إذ يأخذ على كلينياس في محاوره جورجياس الشاعر الغنائي، إن مستمعيه لم يكن يستمعون لأي شيء يجعل منهم أفاضل. [2] وهذا يعني إنهم يرون إن للفن وظيفة أخلاقية تجبر الفنان بضرورة الالتزام بمبادئ الأخلاق في فنه.

على الرغم من قدم النظرة التي تلزم الفن بغايات خارجة عن طبيعته الجوهرية إلا أن أفلاطون يعد الفيلسوف الأول الذي وضع نظرية متكاملة في كتابيه (الجمهورية) و(القوانين) تلزم الفنان بمعايير الأخلاق في العمل الفني عن طريق تحديد موضوعات يجب على الفنان اتباعها، وقد كان الاعتقاد بتأثير الفن في الذوات الإنسانية عند أفلاطون أساساً لرفض كل فن غير أخلاقي، إذا جعل

1 - أفلاطون، فايدروس، ترجمة: أميرة حلمي، مطر (دار المعارف، القاهرة، ب)، ص8.

2 - أفلاطون، محاورة جورجياس، ترجمة: محمد حسن ظاظا، مراجعة: علي سامي النشا(الهيئة المصرية، القاهرة، 1970)، ص117-118.

من الفن الجميل فناً فاضلاً لا أداة للفساد (ما لم يكن لديهم ترياق يقيهم منه) فهو يؤثر على أخلاقيات الناس[1]. ويظهر التشدد في ربط الفن بالأخلاق عند أفلاطون من خلال نظريته في المحاكاة التي تنفي الفن الممتع، لأنه محاكاة لمحاكاة فهو بعيد عن الحق ومثير للذة والشهوة اللهم إن كان يحاكي موضوعات أخلاقية. ويتضح هذا الأمر في محاورة لسقراط يخاطب بها جلوكون في محاورة الجمهورية لأفلاطون حين يؤكد إن الرسام والشاعر ما يحققانه يحاكي الجانب الدنيء من الروح.[2] ما لم يلتزمان بالمعايير الاخلاقية وإلا كانت أعمالهم تعوزها الأخلاق والمصداقية. وهذا الأمر يقودنا للسؤال التالي: **هل جمالية الفن ومشروعيته شرطاً ضرورياً لذلك الالتزام؟** وهذا ما قام برفضه أنصار النزعة الجمالية في تأكيدهم على أن جمالية الموضوعات الفنية تتحقق في تحررها من ذلك النوع من الالتزام والتقييد بالأخلاق في موضوعاتها.

ويظهر المنع الأفلاطوني لكل فن غير ملتزم أخلاقياً من خلال فرض قوانين صارمة تمثل رقابة على حرية الفن في كتابه السابع من (القوانين) حيث ينص هذا القانون على أنه لا يجوز للشعراء أن ينظموا شعراً منافياً للقانون وذلك يتضح في محاوره (الاثيني) و(كليناس) بوضع شروط للشعر في الدولة يتعلق بكل ما هو خير وحسن من خلال عرضه على قضاه وحراس القوانين. [3] ويتفق أفلاطون في نظريته الفنية في مؤلفه (الجمهورية) ومع ما يورده في كتابه (القوانين) حينما أكد على أن المشرع الصالح هو الذي يقنع الشاعر بالعمل على النحو والواجب أن يلتزمه في فنه فإن عجز، أجبره على التوفيق بين الأوزان الجميلة وسلوك وكلام الناس الذين يتصفون بالخير.[4] وهذه الرقابة ترفض كل عمل غير ملتزم بجانب الأخلاق والخير، فلا نفع للمجتمع في أن يتلقى أي نوع من الروايات المغايرة لما نسعى إليه. [5]

---

[1] - أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: فؤاد زكريا، ب ط(الهيئة المصرية، ب ، 1985)، ص529.

[2] - المرجع السابق، ص530-531.

[3] - أفلاطون، القوانين، ترجمة: محمد حسن ظاظا، ب ط(الهيئة المصرية، ب ، 1986)، ص337.

[4] - المرجع السابق، ص134-135.

[5] - ستوليتز، جيزوم، النقد الفني، ترجمة: فؤاد زكريا، ب ط(المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1981)، ص519.

ولعل هذا الطرح الأفلاطوني لدور الفن قد يؤدي إلى الخلط بين قيمتي الأخلاق والفن إذ وفق تصوره يرى أن على الفنان أن يسعى في رواياته إلى الخير أو ما ينبغي أن يكون عليه السلوك ويعكسه في فنه كغاية تربوية غير أن هذه الغاية أو ما ينبغي أن يكون ليست مهمة الفنان بقدر ما هي مهمة رجل الأخلاق إذ إن ما هو كائن مهمة الفنان لتحقيق الغاية الجمالية كقيمة أساسية في الفن.

ولم يحصر أفلاطون الالتزام الأخلاقي في الفن على نوع من الفنون دون الآخر بل امتد هذا على كافة الفنون من فن نحت وتصوير مهاجماً وسائل التلاعب والخداع البصري وأخذ يطالب بأن يلتزم الفن بمعاييره القديمة.[1] تلك المعايير الثابتة في محافظتها على النماذج الأخلاقية غير القابلة لروح التجديد وذلك في تقديسه لكل ضروب الموسيقى لوضعها قانون ثابتاً يلتزم الفنان به.[2] وقد تأثر أرسطو إلى حد كبير بآراء أفلاطون فيما يخص علاقة الأخلاق بالفن والحرص عليه إلا أنه كان أقل تشدداً منه. ولاسيما في موقفه من التراجيديا التي تخلص الذات من شرورها وتظهرها من جميع انفعالاتها التي إن تركت بدون تطهير تخلف سموماً في النفس البشرية. [3]

ويظهر الاتفاق فيما يخص الفن بين أرسطو وافلاطون في الهجوم على كل فن موسيقى يرتكز على المزامير والقيثارة لعدم قيامه بوظائف أخلاقية إصلاحيه عند أرسطو داعياً إلى استخدام جميع الآت العزف التربوية البعيدة عن الآلات ذات المضامين غير الأخلاقية المثيرة للذة والشهوات.[4] وقد أكد على تفضيله لنوع من الموسيقى الدورية الملتزمة بمواضيعها الأخلاقية قائلاً "يتضح لنا بجلاء أن الغناء الدوري هو الأنسب لتهذيب الأحداث"[5] ولا جدال أن المتفوقين يتعلمون الصفات الأخلاقية من فن الموسيقى التي تهدف إلى المتعة المرذولة ولا تطلق العنان للثقافة الأخلاقية الفاضلة. [6] ولعل هذا ما جعله يعيب على سقرط في اختياره النغم الفريجي الذي يثير في الذات

---

[1] - أفلاطون، فايدروس، مرجع سابق، ص11.

[2] - أفلاطون، القوانين، مرجع سابق، ص129-130.

[3] - صباغ ، رمضان، نحو التفسير الأخلاقي والاجتماعي للفن، ط1(دار الوفاء، ب، 1998)، ص103.

[4] - أرسطو، السياسات، ترجمة: الأب أوغسطين، ب ط(اللجنة الدولية للترجمة، بيروت، 1957)، ص444.

5 - المرجع السابق، ص446.

6 - المرجع السابق، ص442.

الأهواء والانفعالات كالذي يحدثه المزمار من الأنغام. [1] وهكذا يعد الفن مرذولاً وليس طبيعياً ما لم يكن ملتزم أخلاقياً عند أرسطو بل ولم يقتصر على نوع معين من الفنون التزامها بالموضوعات الأخلاقية وإلا كانت منحرفة أخلاقياً.

وقد تأثر في العصر الحديث المفكر والأديب (تولستوى) بذلك الاتجاه الأخلاقي في الفن وذلك من خلال وضعه النتائج الأخلاقية كأساس للحكم الجمالي في الفن. بل ويهاجم وبشدة كل من غير ملتزم بالمبادئ الأخلاقية والدينية وكل فن يهدف إلى إثارة الشهوة. [2] حيث يرى تولستوى في كتابه (ما الفن) إن الرأي الأكثر عقلانية في الفن يكون على النحو الذي سار عليه أفلاطون في جمهوريته الفاضلة، حين أصدر حكماً على الفنون التي لا تلتزم بالأخلاق حيث فضل عدم وجود فن على الاطلاق إن لم يكن أخلاقياً. [3]

وتظهر في نظريته المسماة (بعدوى الفن) مدى هذا التأثر الأفلاطوني في تفكير تولستوى. حين رأى إن للفنون دوراً خطير في العدوى لأنها تؤثر في النفس الإنسانية والمتلقي للفن عندها لابد أن يعاني هذا الاحساس النابع من الفن ذاته. [4] وهذا الأمر بدوره جعله يرفض الكثير من الأعمال الفنية التي تصدر نوعاً من الحب بمختلف أنواعه والتعبير عنه كالروايات المصورة للغراميات التي تؤجج الشهوة وتلك اللوحات والتماثيل التي تصور الجسد العاري. [5] وهذا يعني بأن الفن إن لم يلتزم بأخلاقيات تفرض الموضوع الأخلاقي فحسب لا يمكن أن يكون فناً جميلاً على الرغم من إن هناك الكثير من الأعمال الفنية قد تخلو من الوعظ الأخلاقي وضورة التزامها بالأخلاق ولا تخلو من القيم الجمالية المعبرة عن الروح الإبداعية وظلت فنون خالدة.

قد أدى التشدد في الالتزام الأخلاقي والدور الذي يجب للأخلاق وإن يقوم به في الفن عند دعاة النزعة الأخلاقية إلى نظرية تدحض الأخلاق في الفن كقيمة فنية عند العديد من فلاسفة النزعة

1 - المرجع السابق، ص445.

2 - تولستوى، ليف، ما هو الفن، ترجمة: جورج طرابيش، ط1(دار الطليعة، بيروت، 1979)، ص198-199.

3 - المرجع السابق، ص228-229.

4 - تولستوى، ليف، ما هو الفن، المرجع السابق، ص62-63.

5 - المرجع السابق، ص229.

الجمالية أو أنصار الفن للفن ذلك إن الفن لديهم مستقل عن أي التزامات أخلاقية أو اجتماعية فقيمته الجمالية هي الغاية الوحيدة للفن لديهم.

ما الفن لديهم لا يخضع لأي أهداف غير ذاته فهو متحرر من كافة الغايات فهو "لا يتضمن رسالة دينية أو أخلاقية، لأنه يريد ذاته حراً" [1]. (فكل فن لا يتوافر به مقومات الجمال الحسي والشكلي لا يمكن أن يعد فناً جيداً، بل إنه يسيء إلى الفن). [2] وهذا يعني إن الجمالية لم تعر للقيم الأخرى أي اعتبارات عدا التجربة الجمالية والمتعة التي هي الغاية الوحيدة من الفن لديهم وهي المعيار الوحيد لقياس الإبداع الفني إذ بمقدار ما يبعثه العمل من لذة جمالية خالصة بمعزل عن أي غابية نفعية يتحقق العمل الإبداعي.

وتتضح المبالغة الجمالية عند أنصار هذه النظرية في تأكيدهم على ارتقاء الفن (حال وصوله إلى النشوة أفضل بمراحل من كل ما يستطيع الداعية الأخلاقي البليد الحس أن يتصوره)[3]. ويذهب إلى هذا التحرر الفني من المبادئ الأخلاقية التي تفرض عليه من الخارج الشاعر الفرنسي جوتية في تأكيده على أن الفن لا يمكنه أن يؤثر في سلوك متذوقيه في حال عرضه إلى الموضوعات غير الأخلاقية إذ كان للفن حرية مطلقة في التعبير عن كل المساوئ الإنسانية ويعلق على ذلك في قوله أن من يقول بأن الفن يؤثر على الأخلاق (لا ريب كأننا نقول حبات الحمص الصغير هي التي تنبت الربيع). [4] فالفن بمعزل عن القضايا الأخلاقية والاجتماعية طالما يكون حسب وجهه نظرهم يكفي ذاته لذاته وغايته الأساسية هي خدمة الجمال الخالص الذي هو الوسيلة للتعبير عن الذات. [5]

وربما يكون هذا لاتجاه قد تأثر في جزئية معينة من فلسفة كانط الجمالية في تحرر الجمال من أي تصور أخلاقي يملى على الفن مطالب خارجة عنه رغم إن كانط لم ينفي بشكل ضمني الأخلاق

[1] - غريب، روز، النقد الجمالي وأثره في النقد العربي،ط1(دار العلم، بيروت، 1952)، ص63.

[2] - فان تنغيم، فيليب، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط1(عويدات، بيروت، 1967)، ص236.

3 - ستولينتز، جيروم، النقد الفني، مرجع سابق، ص533.

4 - هوبسمان، دنى: علم الجمال، ترجمة: ظافر الحسن، ط4(عويدات، بيروت، 1983)، ص82.

5 - ويليام ك. ويمزات بروكس: النقد الأدبي، ج3، ترجمة: حسام الخطيب ، مجي الدين، ب ط(جامعة دمشق، دمشق، 1975)، ص685.

من خلال مضمونها. ويتضح هذا الأثر الكانطي على أنصار الفن للفن في اللحظة الثالثة من كتابه (نقد ملكه الحكم) المسماة لحظة الحكم الجمالي وذلك من خلال الجمال الحر الذي (لا يفترض تصوراً عما يجب إن يكون عليه) فالجمال الغير مستقل هو الذي يفترض (مثل هذا التصور، مرتبطاً به استجابة للسمو بالشيء) [1]. فالجمال الحر يكون جمالاً محض لا يمت للغرضية بصلة متحرر من قيود الغائية والأخلاق غير ملتزم بأي ضرورات أخلاقية، وعلى الرغم من هذا لم يكن كانط متطرفاً في نزعته الجمالية على النحو الذي ذهب إليه أنصار الفن للفن في أفكارهم بشكل مطلق للقيم الأخلاقية.

وتبرز النزعة الجمالية بصورة مباشرة عند أبرز أنصارها (ليكونت دليل) في تعبيره القائل (لأن الفن يعد فاشلاً حين يسعى إلى غايات أخلاقية هدفاً لفنه بل سيكون انهياره يتحقق إذ جعل الذي هو بمعزل عن كل تلك القيم سواء الأخلاقية أو اللاأخلاقية وفقاً للعالم الذي يعبر الفن عنه. وهذا يعني أن الفن لا هدف له سواء المتعة الجمالية المجردة وبالتالي يصبح الحكم على الإبداع الفني لدى أنصار الجمالية يخضع لما يحققه لنا من متعة استطيقه في الذات بصرف النظر عن طبيعة الذات بصرف النظر عن طبيعة الموضوع. [2]

ولعل هذه النظرية للجمال الخالص قد أكد على مبادئها الشاعر (شارل بودلير) حيث عبر عن إعاقة العملية الإبداعية في فن الشعر حيث يقارن ويوضع موضع الأخلاق والعلم حينها ندفع به إلى الموت والانحطاط أو الإقلال من مستواه في تحقيق الجمال وإذا ارتبط بالأخلاق بل ويخلو من العظمة والسمو[3]. لهذا نجده يعارض أي معتقدات تجعل منه غاية إرشادية إذا كانت الحرية في التعبير هي غايته الأساسية (إذ إن المسرحية الجيدة كما يرى لن تخالج أحداً رغبة مخالفتها لنواميس الطبيعة)[4]، وطالما هي من حيث صناعتها جيدة وتعبر بشكل جميل. وقد عبّر الروائي الفرنسي

1 − Kant, The critic of Judgment Translated with analogical indexes by James Greed Meredith, Clarendon Press, Oxford, 1952, P.72.

2 - الحاوي، إيليا، البرناسية في الشعر الغربي والعربي، ط1 (دار الثقافة، بيروت، 1980)، ص17-18.

3 - بودلير، زهور الألم وقصائد نثرية، ترجمة: مصطفى القصرى، ب ط(الدار التونسية، تونس، 1981)، ص51-52.

4 - بيا، باسكال، بودلير، ترجمة: صلاح الدين برمدا(وزارة الثقافة، دمشق، 1985) ، ص192-193.

(فلوبير) عن ذلك في قوله (إن أخلاقية الفن تنحصر في الجمال ذاته وليس هناك للفن موضوعات جميلة وأخرى قبيحة ما دام الأسلوب وحده طريقة مطلقة في رؤية الأشياء) طالما إن غاية الفنان لا تلزمه بشيء آخر غير ذلك الجمال وإلا يتعدى على الأشكال المقدسة للضمير الأخلاقي[1]. إلى جانب ذلك يجب على الفنان أن يكون موضوعياً في تعبيره الفني بحيث يبتعد عن كل المعتقدات السائدة والعواطف إذ كان الارتقاء بالفن شرطاً ضرورياً لديهم في الدقة والموضوعية ليصبح مماثلاً بالعلوم الفيزيقية [2]، فكل اللحظات الجمالية ذاتها لا تتحقق إلا حين يتحرر الفن إن كانت (ثمرة التجربة ليست هي الغاية وإنما التجربة من العمل الفني) ذاتها هي المتعة الحقيقية للفن[3]. ذلك إن الجمال هو المعيار الوحيد لديهم لتقييم موضوعات الفن إذ لا هدف نفعي للفن في مبادئهم بل وأي محاولة تحد من حرية الفن تتنافى مع الإبداع بل وتحط من قيمته الاستطيقة إذ يتضح الطرح الجمالي المحض وفق تصور القائلين بالحرية المطلقة للفن وذلك الطرح الذي يؤكد على الالتزام الأخلاقي كضرورة للفن يفرض أخلاقيات ونمطية تأتي الرؤية الفنية بين الجمال والأخلاق كقيمتي مكملان لبعضهم دون الخلط بين الدور الذي يقوم به الفن كقيمة جمالية والأخلاق كقيمة ونمطية وعليه لا يمكن الانفصال بين الجمال الفني وإنسانية السلوك ما يرى كل من هيجل وكروتشه وسانتيانا.

ووفقاً لرؤية الفن بين الحرية والأخلاق قد يصطبغ الخير الأخلاقي بصبغة جمالية في وسط حر على اعتبار أن الفن رمز للخير في صميم التجربة الإنسانية[4]. وقد عبر جورج سانتيانا أبرز فلاسفة الجمال عن تلك الأخلاق الجمالية التي لا تفصل بين التزام الفنان بمعايير الجمال الأخلاق بمحض إرادته الحرة. على الرغم من تمييزه بين الأحكام الجمالية والأخلاقية من حيث الطبيعة الوظيفة (فالأخلاق تتعلق بتجنيب الشر والسعي وراء الخير بينما وظيفة الجمال المتعة)[5] وقيمة

[1] - برتلميس، جان: بحث في علم الجمال، مرجع سابق، ص462.

[2] - المرجع السابق، ص460.

[3] - ستولينتز، جيروم، النقد الفني، مرجع سابق، ص532.

[4] - إبراهيم، زكريا: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ب ط(دار مصر، ب، ب)، ص96.

[5] - سانتيانا، جورج، الإحساس بالجمال، ترجمة: مصطفى بدوي، ب ط، (دار الافتاء، بيروت، 1968)، ص75.

الفن لديه تزداد بنجاحه في مخاطبة مواضع الاهتمام الإنساني[1]، حين تحال الموضوعات كافة سواء الأخلاقية أو اللاأخلاقية إلى ضرورياً إيجابية من الجمال إذ إن (الموضوعات المحزنة والمضحكة والبشعة والقطيعة تظل شروراً خلقيه ما لم تصبح ضرورياً من الخير الجمالي)[2]. وهذا يعني إن قيمة الفن الجمالية يجعل الغير مقبول أخلاقياً في الواقع جمالاً فنياً حين يكون المعنى الخفية هو ذلك الخير الجمالي من خلال إجادة التعبير.

كما يرى سانتيانا إن في تصوير الفن لكوارثنا تخفيفاً من حدتها وإقرار بأن الخير المحض لا وجود له والشر المحض لا وجود له[3]. إذ إن الجميل يضع في اعتباره أخلاق الإنسانية من خلال تلك الارتباطات التي ترمز للخير والجمال وتجعل من الموضوعات المنفرة في الحياة الواقعية "ارتباطات تدعو إلى السلوى والعزاء" ويضرب مثالاً لذلك بالموت الممكن جمالياً يعالج فنياً للتخفيف من الألم[4]. وقد أعجب هيجل بذلك الفن الحديث المعبر عن كل الأوضاع الإنسانية لما فيه من "تنوع من الأوضاع والأحداث والمصائر" [5]. إذ يهاجم كل دعاة الالتزام الأخلاقي الذين يجعلوا الغاية من التعبير الفني هو تلك الغاية الأخلاقية النافعة[6] . وما الفن عنده إلا تعبير جمالي حر هذه الصراعات والتصادمات في الحياة الإنسانية بفعل المبدع وتعبيره عن أعماق الروح البشرية. وما تحمله من "كوارث محتمة ومصائب كعقبات" [7]. وعلى الرغم من استقلالية هيجل التي تعد الخاصية الرئيسية للمعيار الإبداعي والجمالي في الفن لديه والتي لا تتحقق إلا بالموضوعية المباشرة وحفظها على الحرية في الموضوعات[8]. إلا أن هذه الحرية لم تجعله ينكر المغزى الأخلاقي في

1 - المرجع السابق، ص99.

2 - المرجع السابق، ص38-39.

3 - المرجع السابق، ص39.

4 - سانتيانا، جورج، الاحساس بالجمال، مرجع سابق، ص238.

5 -هيجل، المدخل إلى عالم الجمال، ترجمة: جورج طربيش، ط2(دار الطليعة، بيروت، 1980)، ص78.

6 - المرجع السابق، ص27.

7 - هيجل، المدخل إلى عالم الجمال، المرجع السابق، ص53.

8 -المرجع السابق، ص78.

الفن بشكل ضمني فهو لم يحرر الفن إطلاقاً من الأخلاق إذ كان لا يقدم بشكل وعظ ووصايا إرشادية.

وعلى نحو مشابه لم ينكر كروتشه للفن قيمته الأخلاقية فهو لم يجرد الفنان من واجبه بمحض إرادته الأخلاقية من حيث إن للفن رسالة على الفنان ممارستها[1]. ولكنه ينكر في ذات الوقت أن يكون الفن غايته "توجيه الناس نحو الخير ويصلح من عاداتهم" [2]. إذ ينكر كروتشه أن يكون الفنان من الناحية الأخلاقية مذنب ولو كان موضوع فنه أخلاقاً منحطة فهو "كفنان لا يعمل ولا يفكر بل يعبر" [3]. فالفن يمدنا بمعمل لا يمكننا استنكاره إذ يقوم كما يرى إلى توجيه الحياة إلى أخلاق أمتن وأعمق[4] . وذلك بفعله الحر يكون معبراً عن الواقع فكلما أخلص في تعبيره عن حركات الواقع "كان أثم كان أقوى على استخراج الأخلاق من الأشياء نفسها" [5]. فالفن متحرر بطبيعته من المعايير التي تفرض عليه إن يكون الأخلاق مطلباً بالضرورة في الفن. ويدلل كروتشه على ذلك الأمر " ليس الوجدان الفني بحاجة إلى الوجدان الأخلاقي يستمد منه العفة. إنه ينطوي في ذاته على العفة التي هي الحياء الفني" كما إن ادخال الأمور البذئية في الفن ليس هو الحالة اللاأخلاقية الوحيدة وليس هو دائماً أسوأ هذه الحالات بالفعل[6]. إذ إن القيمة الإنسانية عند كروتشه تكمن في قدرة الفن الشمولية في التعبير عن كافة موضوعاته الواقعية كان العمل الفني أتم جمالاً طالما أن قيمته الجمالية تقف عند قدرته التعبيرية.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكننا بأن نستخلص في هذه الخاتمة نتيجة مفادها إن رؤية الفن بين الأخلاق والحرية عند كل من هيجل وكروتشه وسانتيانا كانت أكثر عقلانية فعلى الرغم من اعتقادهم بحرية الفن واستقلاله جمالياً في تعبيره عن الروح البشرية بكل ما فيها من الواقع بكشفها لكل

1 - كروتشه، بنوتو، المجمل فلسفة الفن ، ترجمة: علي سامي الدروبي، ط2(دار الفكر العربي، ب. ت)، ص32- 33.
2 - المرجع السابق، ص31.
3 - المرجع السابق، ص93.
4 - المرجع السابق، ص102.
5 - المرجع السابق، ص171.
6 - المرجع السابق، ص171-172.

موضوعاتها إلا إن فلسفتهم لم تنجو إلى الحرية الفنية المطلقة من الأخلاق على النحو الذي ذهب إليه أنصار الفن للفن كما إن فلسفتهم لم تفرض على الفن ضرورة الالتزام الأخلاقي كقيد ومطلب ضروري من مطالب الفن كما ذهب إلى ذلك دعاه الأخلاق المتشددين في حصر موضوعات الإبداع الفني على الجانب الأخلاقي والغايات النفعية وإلا رفض الفن وهذا بدوره يفقد الفنان حريته في اختيار موضوعاته الفنية فأي التزام موجه لا يمكن أن يحقق إبداعاً جمالية فقد يعبر الفنان بمحض إرادته الحرة عن تلك الغايات بنوع من الالتزام التلقائي الحر لا بفرض قوانين خارجية عن طبيعة الفن التي أكد عنها أفلاطون وألزم الفنانون بها كما لا يمكننا في ذات الوقت أن ننكر دور الأخلاق في الفن كمضمون يعبر عن السلوك الإنساني ويحقق الخير الجمالي.

إذاً إلغاء مبدأ الأخلاق بشكل مطلق لا يحقق إبداعاً فنياً كما إن فرض أخلاق إلزامية خارجة عن طبيعة الفن تعيق العملية الإبداعية.

المصادر والمراجع:

1- أفلاطون، فايدروس، ترجمة: أميرة حلمي، مطر (دار المعارف، القاهرة، ب).
2- أفلاطون، محاورة جورجياس، ترجمة: محمد حسن ظاظا، مراجعة: علي سامي النشا(الهيئة المصرية، القاهرة، 1771).
3- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: فؤاد زكريا، ب ط(الهيئة المصرية، ب ، 1781)،.
4- أفلاطون، القوانين، ترجمة: محمد حسن ظاظا، ب ط(الهيئة المصرية، ب ، 1786).
5- أرسطو، السياسات، ترجمة: الأب أوغسطين، ب ط(اللجنة الدولية للترجمة، بيروت، 1717) .
6- الحاوي، إيليا، البرناسية في الشعر الغربي والعربي، ط1 (دار الثقافة، بيروت، 1781).
7- إبراهيم، زكريا: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ب ط(دار مصر، ب، ب) .
8- بودلير، زهور الألم وقصائد نثرية، ترجمة: مصطفى القصرى، ب ط(الدار التونسية، تونس، 1781).
9- بيا، باسكال، بودلير، ترجمة: صلاح الدين برمدا(وزارة الثقافة، دمشق، 1781) .
10- تولستوى، ليف، ما هو الفن، ترجمة: جورج طرابيش، ط1(دار الطليعة، بيروت، 1777) .
11- سانتيانا، جورج، الإحساس بالجمال، ترجمة: مصطفى بدوي، ب ط، (دار الافتاء، بيروت، 1768).
12- ستوليتز، جيزوم، النقد الفني، ترجمة: فؤاد زكريا، ب ط(المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1781).
13- صباغ ، رمضان، نحو التفسير الأخلاقي والاجتماعي للفن، ط1(دار الوفاء، ب، 1778).

14- غريب، روز، النقد الجمالي وأثره في النقد العربي،ط1(دار العلم، بيروت، 1712) .

15- فان تنغيم، فيليب، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط1(عويدات، بيروت، 1767).

16- هويسمان، دنى: علم الجمال، ترجمة: ظافر الحسن، ط1(عويدات، بيروت، 1780).

17- هيجل، المدخل إلى عالم الجمال، ترجمة: جورج طربيش، ط2(دار الطليعة، بيروت، 198o).

18- ويليام ك. ويمزات بروكس: النقد الأدبي، ج0، ترجمة: حسام الخطيب ، محي الدين، ب ط(جامعة دمشق، دمشق، 1771).

19- كروتشه، بنوتو، المجمل فلسفة الفن ، ترجمة: علي سامي الدروبي، ط2(دار الفكر العربي، ب. ت).

20- Kant, The critic of Judgment Translated with analogical indexes by James Greed Meredith, Clarendon Press, Oxford, 1952, P.72.